تفجيرات مدريد خسارة إستراتيجية جديدة للإسلاميين

26-3-2004

وبدلاً من أن يكون "الإرهاب" ظاهرة متخصصة باستهداف المصالح والأهداف الأميركية مباشرة كما كان الحال حتى 11 أيلول 2001، أصبح ظاهرة عشوائية عالمية يضرب في كل اتجاه ولعل اغتيال الشيخ ياسين هو قراءة شارونية لأحداث مدريد

بقلم حسن الرشيدي

مواد ذات علاقة

وقفات مع اعتداءات 11 مارس الإسبانية

بعد انفجارات مدريد والتي تعرضت لها أربعة قطارات في العاصمة الإسبانية وأدت إلى سقوط زهاء 200 قتيل وحوالي 2000 جريح و ما أعقبها من خسارة الحزب الشعبي الحاكم بزعامة رئيس الوزراء الأسباني خوسيه ماريا أزنار غير المتوقع في الانتخابات وفوز الحزب الاشتراكي المعارض بزعامة خوسيه رودريجيز زاباتيرو، قالت صحيفة لوس أنجلوس تايمز الأمريكية إن فوز الاشتراكيين بالانتخابات يُنهي 8 أعوام من حكم الحزب الشعبي ويحرم واشنطن من واحد من أقرب حلفائها ويضيف تعقيدًا إلى جدول أعمال الإدارة الأمريكية عسكريا وسياسيا.

وقد تعهد زاباتيرو الأحد عقب إعلان فوز حزبه بالانتخابات بإعادة القوات الأسبانية التي تم إرسالها للعراق والتي يبلغ عددها 1300 جندي بعد توليه رئاسة الحكومة الأسبانية في أعقاب انتهاء فترة حكم حكومة أزنار في يوليو 2004.

بعد هذه التفجيرات هلل كثير من الإسلاميين لهذا النصر الحاسم!! واعتبروه ضربة قاضية للغرب وباتت كثير من الأصوات تقول إن الإسلاميين أصبحوا يتحكمون في الساحة العالمية يسقطون حكومات ويجيئون بأخرى، خاصة أن الضربة جاءت قبل الانتخابات بثلاثة أيام وادعى آخرون أن الحركات الإسلامية أخيرا تمكنت من إحداث تحولات إستراتيجية كبرى في البيئة السياسية الدولية.

وبعيدا عن حسابات العواطف ولاختبار مدى صحة تلك الفرضيات لابد من عرضها على مقياس الإستراتيجية، في محاولة للتحليل في هذا الاتجاه ومدى موافقتها أو مخالفتها لهذا المصطلح :

فالاستراتيجية تتمثل في التعرف على أفضل طريقة لبلوغ الهدف والتوصّل إلى أنجع طريق يؤدي إليه في أحسن الظروف الممكنة من خلال استغلال نقاط القوة والتغلّب على مناطق الضعف، فإنّها أيضاً تتطلّب الفرز بين الخيارات حول أقوى الأفكار التي ستمثل المحور الأساسي للجهود التي ستخضع لها الأهداف والوسائل والأولويات.

بينما يجري تعريف الاستراتيجية في أدبيات كثيرة على أنها فن توظيف عناصر القوة للأمة أو الأمم لتحقيق أهداف الأمة أو التحالف في السلم والحرب، وهو أيضاً فن القيادة العسكرية في ساحة المعركة ومن هنا نجد الربط بين الاستراتيجية وقوة الدفاع.

وفي تعريف لمركز الدراسات الاستراتيجية ومقره جنيف ينظر للاستراتيجية على أنها

نظرة عمل لتصميم وبناء حاضر يتيح إنجاز أهداف في المستقبل؛ بمعنى أنها تستوعب مستقبلها فتنطلق إليه من حاضرها؛ فهي عملية إيجاد معطيات للواقع، وهنا بالذات تظهر الحاجة إلى التحليل والتأمل وملاحقة الظواهر وإخضاعها للربط المتفاعل وليس الربط المجزأ والآلي.

ولذلك فإن الاستراتيجية تعنى بحقيقتين هما: الأهداف المتوخاة والقدرة.

و عند مطابقة هذه التعريفات بما حدث في مدريد نجد أن الجهة المنفذة على الأرجح قد وضعت هدفا لها و هو طرد القوات الأسبانية من العراق لأنه بداية لانفكاك عرى التحالف المحتل لهذا البلد، وقد حصلت شبكة CNN على وثيقة نشرت على موقع على شبكة الإنترنت، حيث يعتقد الخبراء كما تقول الشبكة إن الموقع يستخدمه عناصر القاعدة والمتعاطفين معه أفادت بأن للقاعدة خططا لفصل إسبانيا عن قوات التحالف التي تقودها الولايات المتحدة في العراق، وتدعو الاستراتيجية التي تضمنتها الوثيقة (والتي نشرت على شبكة الإنترنت في ديسمبر الماضي) إلى اعتماد الهجمات الإرهابية لطرد رئيس الحكومة الإسباني خوسيه ماريا أزنار وحزبه الحاكم من السلطة واستبداله بالاشتراكيين، وجاء في وثيقة القاعدة نعتقد أن الحكومة الإسبانية غير قادرة على تحمل أكثر من ضربتين أو ثلاثة على الأكثر قبل أن تُجبر على الانسحاب بسبب الضغط الذي سيمارسه الشارع الإسباني عليها وأضافت الوثيقة في حال بقيت قواتها بعد هذه الضربات، فإن انتصار الحزب الاشتراكي سيكون مضمونا فيما ستكون مسألة انسحاب القوات الإسبانية عنوان حملته بحسب ما جاء في الوثيقة.

وإذا كان هدف القاعدة بتفجيرات مدريد هو فك التحالف الذي أقامته أمريكا في العراق والذي حاولت به التغطية على تفردها وهيمنتها، فإن المعادلة تصبح ضرب القطارات حركت الشعب الإسباني ضد حكومة أزنار فأسقطتها، ولكن عند التمعن في أسباب وخلفيات سقوط أزنار، يتبين أن هناك عاملا آخر دفع إلى هذا السقوط وهذا ما نتأمله عند النظر إلى شعبية بوش التي ارتفعت إلى 90 % في أعقاب تفجيرات 11 سبتمبر.

فالفرق الأساسي في الحالتين هو طريقة إدارة الحكومتين للأزمة، فبينما ركز بوش وأركان إدارته على اتهام القاعدة بتفجيرات 11 سبتمبر ولم يميعوا هذا الهدف حتى حين طالبتهم بعض الدول بالدليل على ضلوع القاعدة بها أصرت الإدارة على هذا الاتهام، أصرت حكومة إزنار على اتهام إيتا بالعملية حتى بعد صدور بيان كتائب أبي حفص المصري بتبنيها التفجيرات واندهش الجميع من إصرار وزير الداخلية على اتهام إيتا برغم كثرة الشواهد على ضلوع القاعدة، ولكن إزاء الضغط الشعبي بدأت الحكومة الأسبانية في التراجع مما أثبت للناس أن الحكومة تكذب عليهم وهذا ما لا يغفره الغرب لحكامه، فقد يتجاوز عن فضائحهم المالية والأخلاقية ولكن الكذب عندهم هو الخطيئة التي لا تغتفر.

وإذا سلمنا جدلا بأن هذا الهدف بالفعل هو الذي أسقط حكومة أزنار وانسحبت حكومة زاباتيرو بالفعل من العراق، فهل سيتأثر الاحتلال الأمريكي للعراق؟ وماذا عن احتشاد الغرب كله ضد ما يسميه الإرهاب؟

بالنسبة للهدف الأول، فإن نسبة القوات الأسبانية يقل عن 1% من عدد القوات المتواجدة بالعراق وبالتالي لن يتأثر الاحتلال في العراق بهذا الانسحاب، قد يتأثر معنويا

ولكن في المحصلة النهائية، فإن الأمريكان باقون في العراق ولنتذكر جيدا أنهم غزوها في السابق رغم معارضة شديدة من العالم أجمع.
أما قضية "الإرهاب" فهذه التفجيرات قد كشفت لأوروبا ما كان مخفيا من جوانب الحرب على "الإرهاب" و توالت ردود الفعل الأوروبية في هذا الاتجاه، فقد أكد الرئيس الفرنسي جاك شيراك أثناء انعقاد مجلس الوزراء على ضرورة تعزيز التعاون بين الأوروبيين في مجال مكافحة "الإرهاب" كما شدد على أن فرنسا ستدعم بقوة اقتراحات في هذا المعنى ستعرضها الرئاسة الايرلندية للاتحاد الأوروبي على القمة الأوروبية المقبلة في بروكسل، ونقل عنه المتحدث باسم الحكومة جان فرنسوا كوبيه تأكيده مجددا على تصميم فرنسا التام على مكافحة الإرهاب ووجوب معالجة الأوضاع التي تشجع على الإرهاب من جذورها. وأعطى شيراك من جهة ثانية تعليمات إلى الحكومة بتعزيز الإجراءات الأمنية الخاصة بالجالية اليهودية في فرنسا حسب مصدر مقرب منه. وأوضح المصدر أن شيراك أعطى تعليمات بهذا الصدد إلى رافاران ووزير الداخلية نيكولا ساركوزي أبلغ قصر الاليزيه هذه التعليمات الجديدة إلى رئيس المجلس التمثيلي لمنظمات فرنسا اليهودية روجيه كوكيرمان ورئيس مجمع فرنسا المركزي وأعلن الناطق باسم البيت الأبيض سكوت مكليلان أمس أن الرئيس الأميركي جورج بوش سيزور باريس في الخامس من حزيران المقبل بدعوة من شيراك، وأضاف أن بوش سيقوم بهذه الزيارة قبل التوجه للمشاركة في الذكرى ال 60 لإنزال النورمندي.
وبدلاً من أن يكون "الإرهاب" ظاهرة متخصصة باستهداف المصالح والأهداف الأميركية مباشرة كما كان الحال حتى 11 أيلول 2001، أصبح ظاهرة عشوائية عالمية يضرب في كل اتجاه ولعل اغتيال الشيخ ياسين هو قراءة شارونية لأحداث مدريد، فالشيخ ياسين أصبح بن لادن الفلسطيني على حد تصريح المسئولين اليهود ،والمتابع لردود الفعل الأوروبية على الاغتيال يدرك هذا جيدا وكيف أن قضية مكافحة الإرهاب أصبحت في أولويات الاهتمام الأوروبي بعد أن كانت في السابق في مرتبة متدنية، وتجددت مرة أخرى الروح الصليبية الأوروبية التي طالما نفتها في السابق ورئيس الوزراء الأسباني الجديد سيجعل من مواجهة الإرهاب، التحدي الجديد له، وهذا الموضوع هو المكسب الإستراتيجي لتحالف بوش و بلير.

للعودة للأعلى

وقفات مع اعتداءات 11 مارس الإسبانية

17-3-2004

amirsaid@gawab.com

فالمسألة لابد أن تتجاوز لدى الساسة والحزبيين مجرد الشجب لبحث آلية تباعد بين سياستهم وإملاءات الولايات المتحدة وتحفظ لسياستهم الاستقلالية، في وقت يكتسب المهاجمون أراض جديدة مع كل تحرك دموي، فتارة يقلبون نظاما مناوئا، وتارة يفرضون على عدوهم سياسة معينة، وتارة يمارسون ضده حرب استنزاف. نعم الأمر يحتاج لقدر كبير من الشفافية

بقلم أمير سعيد

تبدو أحداث 11 مارس بمدريد كما لو أنها ستدخل ذات النفق الذي دخلته أحداث 11 سبتمبر بنيويورك ..
ليست مدريد كنيويورك، ولم تستهدف التفجيرات الإسبانية أي رمز سياسي أو اقتصادي أو عسكري كما فعلت أو حاولت هجمات نيويورك، بيد أن الحدث يظل داخل دائرة الضوء لفترة ليست بالقصيرة، كأكبر عملية تفجيرية تستهدف المئات الذين سقطوا بين قتيل وجريح، وكانت لها تداعياتها المحلية والقارية والدولية .. فتحت أكثر من ملف وأثارت أكثر من قضية، واستدعت أكثر من وقفة:
* فمن أبلغ ما خلفته تفجيرات مدريد، هي تلك التظاهرات الحاشدة التي جابت مدن إسبانيا بلا استثناء .. التي تجسد تلك القيمة البارزة التي توليها أوروبا لإنسانها "السامي" .. الإنسان كجسد في الحقيقة لا كروح؛ إذ الروح ديست تحت أقدام المادة منذ قرون. حقيقة اعترتنا دهشة مفرطة؛ والصورة تكشف أمامنا عن 12 مليونا، يشكلون ربع سكان إسبانيا، خرجوا من ديارهم وأعمالهم في يوم ممطر؛ إعلاء لقيمة 200 شخص لقوا حتفهم في تلك التفجيرات، واحتجاجا على الطريقة التي أزهقت بها هذه أرواحهم.
صحيح أن هذه التفجيرات بتلك القسوة، وإذ تأتي بغتة، قد امتازت بشناعتها وفداحتها؛ إلا أن ذلك لا يقلل من الاعجاب بهذا التفاعل الشعبي العارم في إسبانيا. (أكثر من ألف مصري قضوا متفحمين في حادثة قطار الصعيد الشهيرة قبل سنوات نتيجة الإهمال والتسيب في أمن القطارات الذي لا يقل توحشا وضراوة عن "الإرهاب"، ومرت الحادثة بـ"سلام" كما لو كان القتلى من جند إبليس !!).
في مقابل ذلك؛ فإن المرء إذا أرجع بصره إلى عالمنا العربي المسكين انقلب إليه البصر خاسئا وهو حسير، فالقيمة الإنسانية للشخص العربي في نظر حكامه أمست دون قيمة البهائم في غير ما بلد عربي ـ أعز الله قراءنا ـ (دفعت إحدى الوزارات"مشكورة" في دولة عربية تعويضا لحادث نتيجة الإهمال في وفاة أبرياء ما قيمته لا تتجاوز ثمانية دولارات لكل متوفي، وهو ما يعادل تقريبا ربع قيمة الحمار العربي الأصيل !!) , وبعيدا عن المادة، وأعلى منها بكثير تظل الحرية في الدول العربية رجسا من عمل الشيطان !! فحتى حرية النواح ـ التي كانت مكفولة في الجاهلية الأولى ـ على القتلى، والنفرة غضبا لإزهاق الأرواح يحرم منها الفرد العربي لمجرد الخشية من أن يستحيل النواح على القتلى نياحة على الأمة العربية المهضومة، وضياع هيبتها، وتسلط الطغام الغطاريس عليها.
* بدا العنف، ويا لبؤس مناهضيه؛ يحقق أهدافا في أيام عجزت السياسة الهادئة ذات النفس الطويل عن تحقيق معشارها في سنوات، هذه حقيقة لا يمكن تجاهلها ووضع الرؤوس منها في الرمال بعد تفجيرات مدريد.. فالمسألة لابد أن تتجاوز لدى الساسة

والحزبيين مجرد الشجب لبحث آلية تباعد بين سياستهم وإملاءات الولايات المتحدة وتحفظ لسياستهم الاستقلالية، في وقت يكتسب المهاجمون أراض جديدة مع كل تحرك دموي، فتارة يقلبون نظاما مناوئا، وتارة يفرضون على عدوهم سياسة معينة، وتارة يمارسون ضده حرب استنزاف. نعم الأمر يحتاج لقدر كبير من الشفافية لنضع مشاكلنا على طاولتنا ـ نحن ـ لنبحث في إستراتيجية تخلصنا من ربقة الخضوع للهيمنة الأمريكية الجديدة القادمة تحت عباءة الشرق الأوسط الكبير (العالم الإسلامي) من دون أن يكون العنف عنوان تحررنا ..

إنها معضلة لم تفلح سياسات الشجب في القفز عليها، وسجلتها الصحافة العالمية بكل حيثياتها، فقالت كاتبة مقال بصحيفة التايمز قبل ثلاثة أيام :"إنه كلما زادت دلائل ضلوع تنظيم القاعدة في هجمات مدريد كلما زاد إلحاح التساؤل عما إذا كانت الولايات المتحدة وحلفاؤها يخسرون حربهم ضد الإرهاب، وما إذا كانت الحرب على العراق قد أدت في الواقع إلى تفاقم الإرهاب". وتجيب الكاتبة بالقول: "إن الإجابة على كلا السؤالين هي قطعا بنعم... إن محاولات الغرب للدفاع عن نفسه ليست ناجحة تماما، لكن ذلك لا يعني أنها عقيمة".

وقد اضطربت الولايات المتحدة الأمريكية لما وجدت تحالفها ضد العراق يوشك أن يتزلزل بعد عزم إسبانيا على الرحيل من العراق (مرد هذا لا يعود في أساسه لكثرة جنود وقوات التحالف غير الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا في العراق، فتلك قوات لا تمارس الاحتلال، وإنما اضطرابها خشية أن تتزلزل أركان تحالفها من الناحية السياسية، فقد قال غير مفكر عربي قبل وإبان العدوان على العراق ما مفاده أن أمريكا لا تريد من حلفائها الحرب بدلا منها، وإنما تقديم الغطاء السياسي لها بحيث لا تبدو مستبدة تنطلق من أحلام "استعمارية" بغيضة، وهذا بدوره يتسق مع الفكر الموروث الذي قامت عليه الحروب الصليبية ذات الطبيعة التحالفية).

وهذا قد عبر عنه وزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد حين رأى في التهديد بالانسحاب الإسباني من العراق على خلفية هجمات مدريد بمثابة "نكسة للولايات المتحدة الأمريكية"، طبقا لمقابلة أجرتها معه B.B.C أمس. وهو أيضا ما أثار الرئيس الأمريكي ذاته حين قال معلقا على أحدث استطلاع للرأي في هولندا يظهر رغبة أغلبية سكانها في رحيل قواته من العراق : "أطلب من الشعب الهولندي وبقية العالم التفكير في المواطنين العراقيين الذين لا يريدون من القوات الدولية الانسحاب؛ لأنهم يريدون أن يكونوا أحرارًا"، بحسب وكالة فرانس برس أمس، وهو كذلك ما أزعج ساسة البيت الأبيض بعد أن أعلن وزير الدفاع في دولة هندوراس 'فيدريكو بريف' أمس، أن حكومة بلاده قررت سحب قواتها العسكرية الموجودة بالعراق والبالغ قوامها 370 جنديًا يعملون تحت القيادة الأسبانية التي تعمل بدورها تحت القيادة البولندية في محافظات العراق الجنوبية والوسطى، لاسيما إذا أضفنا إلى ذلك الاستطلاع الإيطالي الذي نشرته صحيفة 'لاريبوبليكا' أمس، والذي أظهر أن ثلثي الإيطاليين يؤيدون سحب الوحدة الإيطالية من العراق بعد 30 يونيو المقبل، إذا لم تتسلم الأمم المتحدة زمام الأمور هناك، واستبعاد الرئيس البولندي ألكسندر كفاشنيفسكي إرسال قوات إضافية إلى العراق إذا ما قررت إسبانيا سحب قواتها منه.

* أظهرت تفجيرات مدريد كيف يسلب الظلم الأمن من أناس كانوا مطمئنين .. سواء أكانت إيتا مسئولة عن التفجيرات فقد أفرزتها رغبة الأسبان في الاستئثار بإقليم الباسك، أو كانت القاعدة، فقد عقبت صحيفة الموندو القريبة من الحكومة الإسبانية (12 مارس) على البيان المنسوب للقاعدة الذي وصف تفجيرات مدريد بأنها "جزء من تصفية حسابات قديمة مع إسبانيا الصليبية حليفة أمريكا في حربها ضد الإسلام"، بالقول : "إن كان هذا صحيحا، فسيكون في وسعنا القول إنه كان لدينا حتى الآن مشكلة مع ايتا، أما الآن فلدينا مشكلة ثانية مع القاعدة"، وهذا يقود إلى الاعتقاد بأن حل مشكلة العنف ليست بالهروب إليها اتقاء لها، بل برفع المظالم، فإسبانيا لم تواجه القاعدة حقيقة، لكنها أذاقت العراقيين مرارة الاحتلال وظلمه، فاستجلبت ما كان نساؤها وأطفالها ـ وهم أبرياء بلا شك ـ في غنى عنه. وتلك حقيقة تعود إليها التايمز وكاتبتها في المقال المشار إليه آنفا قائلة : "إنني لا أدعو للتشاؤم، لكن التفاؤل هنا يعتمد على عاملين: الأول تحقيق الاستقرار والديمقراطية في العراق (لكن) قدرات الولايات المتحدة لا تستطيع ضمان تحقيق ذلك، والثاني حل الصراع الإسرائيلي الفلسطيني الذي لم تبد الإدارة الأمريكية أي حماس يذكر لحله"، وصدقت، فإن السلام والأمن قرينا العدل لا يتخلفان..